**الوحدة: المشرق الاسلامي بين القرنين (8-15م)**

**السداسي السادس:**

**المحور الأول: الخلافة الفاطمية في المشرق الإسلامي.**

**المحاضرة2: التشيع من الفكرة الى الدعوة الى الدولة:**

**هدف المحاضرة:**تبيين كيف تطور المذهب الشيعيخاصة الاسماعيلي من الفكرة الى الدعوة وصولا الى اقامة الدولة الفاطمية.

ظهر التشيع كفكرة سياسية تنادي بإمامة آل بيت علي بن أبي طالب ثم تطورت هذه الفكرة بموازاة تطور عقائدي دعم الطرح السياسي بأفكار أكثر تطرفا فكيف ومتى تطورت أفكار الشيعة السياسية من الجانب النظري الى العملي؟.

1- في العهد الراشدي (11-40هـ/632-661م):

ظهر التشيع السياسي في خلافة علي بن أبي طالب في خضم أحداث الفتنة الكبرى وانحصرت أفكاره في هذه الفترة على حق علي ثم ابنه الحسن ﷺ في الخلافة والدعوة إلى ذلك دون تهيكل سياسي ظاهر.

2- في العهد الأموي (41-132هـ/661-750م):

شهد هذا العهد تطورات خطيرة في تاريخ التشيع بعد استشهاد الأمام الحسين في كربلاء (61هـ/681م) على يد جند بني أمية، فظهرت حركة مسلحة متشيعة هي حركة التوابين التي سعت إلى الاقتصاص من قتلت الحسين، وظهرت كذلك فرقة الكيسانية التي زعمت أتباع مُحَمَّد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية وطالبت بإمامته وإسقاط الأمويين، وسعت إلى ذلك سرا وبعد وفاته سنة (81هـ/700م) قالت بإمامة إبنه عبد الله أبو هاشم واتبعته، وخرجت منها فرقة أخرى اتبعته هي الهاشمية وبما أنّه لم يكن له أبناء يخلفونه تحالف مع أبناء عمومته العباسيين الذين ورثوا دعوته وبوفاته سنة (98هـ/717م) انتهت الفرقتين (الكيسانية والهاشمية).

3- في العهد العباسي (132-656هـ/750-1258م):

في هذا العهد تتطور أفكار الشيعة من كل النواحي السياسية والعقدية والفقهية، حيث تمكن الشيعة من تطوير أفكارهم ونضالهم السياسي من الفكرة إلى الدعوة إلى الدولة حيث تجاوزوا مرحلة الأفكار والدعوات البسيطة إلى الدعوة المنظمة النشيطة التي مكنتهم من اقامة دولهم.

وكان وقود هذه الدعوات أفكار متباينة من فرقة شيعية إلى أخرى على النحو الآتي:

أ- أتباع أئمة آل البيت السنة: وكان هؤلاء الأئمة سنة قادوا بأنفسهم الثورة، وأشهر هذه الحركات حركة مُحَمَّد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية الذي قاد حركة سياسية بدأت سنة (145هـ/762م) بالمدينة المنورة وكانت من أخطر الحركات العلوية على العباسيين، لسعيه إلى الخلافة منذ عهد الدعوة العباسية ضد بني أمية، وبقيام الخلافة للعباسيين دون العلويين لم يبايعهم واستتر عنهم خوفا منهم فقبض على أهل بيته فقتلوا فخرج وثار على العباسيين، فسيطر على المدينة المنورة ومكة والبصرة وجزء من بلاد فارس فحذره الخليفة المنصور من مسعاه فرفض الرجوع عن ثورته فبعث إليه المنصور جيشا ضخما تمكن من هزمه وقتله فانتهت حركته.

وحركة إبراهيم بن عبد الله بن الحسن وهو أخو النفس الزكية ثار بالبصرة سنة (145هـ/762م) سعت حركته كذلك إلى الخلافة وانتهت في نفس السنة بمقتله على يد العباسيين.

وحركة الحسين بن علي العابد بن الحسن بن الحسن بن علي حركة علوية اتبعها الشيعة خرجت في المدينة ومكة، كانت تريد الخلافة، استطاع الخليفة الهادي القضاء عليها في معركة فخ الشهيرة (قرب مكة) عام (169هـ/785م) التي تشتت فيها البيت العلوي وأفلت من هذه المعركة إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن فوصل إلى المغرب الأقصى وأسس دولة الأدارسة.

وحركة يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن سنة (176هـ/793م) وكانت ببلاد الديلم (أو جيلان ببلاد فارس) والذي أرهق الخلافة العباسية فترة من الزمن، لكثرة شيعته واشتداد شوكته حتى احتالوا عليه بالأمان والصلح فألقي عليه القبض وسجن إلى غاية وفاته.

**ب- أتباع الفرق الشيعية المعتدلة:** وعلى رأس هؤلاء الشيعة الزيدية، الذين انتشروا في اليمن وأقاموا دولة زيدية عمّرت مدة طويلة من العهد العباسي إلى التاريخ المعاصر من سنة (284هـ/897م) الى سنة (1382هـ/1962م)، ولم يكن لها تأثير ظاهر لأفكارها المعتدلة، إضافة إلى الدولة الحمدانية (317-394هـ/929-1004م) بالموصل والشام التي كانت شيعة اثناعشرية ولكن حكامها اشتهروا بالتسامح ولم يفرضوا مذهبهم على الناس ولم يسعوا إلى الخلافة، كما لم يكونوا من آل البيت فلم يكن لهم أثر واضح وأكثر من ذلك سقطوا على يد الشيعة العبيديين.

جـ- أتباع الشيعة الغلاة وتأسيس الدولة الفاطمية العبيدية: وهم أقوى وأخطر الفرق لانحراف عقائدهم وأهدافهم السياسية فقد اختلفوا عن أهل السنة اختلافا جوهريا، كما لم يعترفوا بالخلافة

السنية وسعوا إلىإسقاطها بكل السبل الممكنة، أشهرها الدعوة الاسماعيلية التي تجسدت في دعوة القرامطة وفي الدعوة التي أسست الدولة العبيدية بالمغرب ثم انتقلت الى المشرق وكانت دعوتها كمايلي:

فبفعل فشل الدعوات السابقة في العراق والشام وفارس في انجاح المشروع الشيعي الساعي الى الخلافة وقع الاختيار على اليمن لكي يكون مركزا لدعوة الشيعة الإسماعيلية لبعدها عن أنظار الدولة العباسية، ومنها انطلقوا في إعداد الدعوة السرية لإقامة خلافتهم، وكان قائد الدعوة في اليمن وقتئذ رستم بن حوشب الذي دخل اليمن سنة (268هـ/882م) ونظم الدعوة بشكل محكم ورأى أنّ أرض المغرب هي الأنسب لنشر بذور الأفكار الشيعية، فأرسل[1] من اليمن رجلين من أنصاره هما أبو سفيان والحلواني إلى المغرب الأدنى لنشر المذهب الشيعي، واستطاعا أن يتوغلا بأفكارهما في قبائل البرانس القوية.

وبعد وفاتهما في حدود سنة (288هـ/901م) اختار ابن حوشب أبا عبد الله الشيعي الصنعاني ليكمل مهمتهما وكان قد وقع اختيار ابن حوشب على هذا الرجل لما لمس فيه من صفات قيادية بارزة من علم وذكاء ومقدرة في التعامل مع الناس، وقال له: "إنّ أرض كتامة في بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وسفيان، وقد ماتا، وليس لك غيرها فبادر فإنّها موطأة ممهدة لك"، فأرسله حوالي سنة (288هـ/901م)فوصل أبو عبد الله الشيعي الرجل الداهية إلى مكة، وبحث عن وفود المغاربة التي جاءت للحج واستطاع أن يتعرف على حجيج قبيلة كتامة، التي تنتمى إلى بربر البرانس وتقرب منهم بما أظهره لهم من زهد وعلم، وجعل لقاءه بهم يبدوا كأنّه مصادفة، وبدأ يتعرف أحوالهم وميولهم المذهبية، ولم يفصح عما أضمره وما جاء من أجله وتمكن هذا الداعية من قلوب الشيوخ الكتاميين، ورجع معهم غربا موهما إياهم أنّه يريد مصر لتعليم الأولاد القرآن، وعرضوا عليه الذهاب معهم إلى المغرب، فأظهر عدم الرغبة، ثم بسياسته لبى طلبهم ونزل في القيروان ليبحث عن مواطن الضعف في دولة الأغالبة الحاكمة للمغرب الادنى (184-296هـ/800-909م)، وأخذ يجمع المعلومات لمعرفة أقوى القبائل، وما هي الوسائل النافعة للتغلغل في بلاد المغرب، وبعد أن أيقن أنّ أقوى القبائل في المنطقة هي الكتامية قرر الذهاب إلى بلدة تسمى "إيكجان" (حاليا ببني عزيز ولاية سطيف) وهي

---

[1] – كما توجد رواية أخرى عن بداية الدعوة الاسماعيلية بالمغرب ترجعها إلى جعفر الصادق (ت148هـ) أشهر من نقلها ابن خلدون وهي رواية منافية للحقائق التاريخية وقد ردها الكثير من الباحثين بأدلة قوية منهم خالد كبير علال في كتابة أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة ص 110-113 راجع الكتاب.

بلدة في جبل وعر، ونهج في حياته نهج المعلم المؤدب الورع، وسلك سلوك الزهد والعفاف حتى تملك قلوبهم، واشتهر صيته، وأقبلت عليه القبائل البربرية وتصدى لتعليمهم وتفقيههم في الدين وفق المذهب الشيعي، ثم دخل في الأمور السياسية ونظام الحكم، وفضل العلويين وأحقيتهم في الحكم.

ثم عمد أبو عبدالله الشيعي إلى مصارحة بعض الكتاميين بحقيقة أمره، ورغبته في إقامة دولة لآل البيت تقوم على أكتافهم، موهما إياهم بأنّ الروايات جاءت بذلك، وأخبرت عما ينتظرهم من الأجر في الدنيا والآخرة وأخذ أبو عبدالله على عاتقه تنظيم صفوفهم وبعض أبناء القبائل الأخرى، وقسمهم إلى سبعة أقسام، وجعل على رأس كل قسم منها داعية يثق فيه، فاستطاع بهذا الأسلوب العملي إقامة مجتمع يدين بفكرة إقامة الدولة المثالية التي يحكمها إمام من آل البيت، وبعد نجاح ذلك اتخذ أبو عبدالله الشيعي من أبناء كتامة جندا يدافعون عن الدعوة، ويهاجمون القوى السياسية الموجودة بالمنطقة.

**إقامة الدولة:** بعد انتشار دعوته وتهيكلها انتقل إلى الخطوة التالية وهي إقامة الدولة مستغلا دعوته والظروف المحيطة فبسبب الظلم والباطل والضعف الذي انتشر في دولة الأغالبة، وما نشره من أفكار استجابت بعض القبائل للداعية الشيعي وبدأ الصدام مع الأغالبة، وانتقل أبو عبد الله الشيعي إلى حصن منيع في جبال الأوراس ومنه كان يوجه الضربات المتتالية لدولة الأغالبة، واعتمد في ذلك أيضا على فضح الأغالبة ونشر ظلمهم، وبيان أنّ حكمهم خارج عن الإسلام، وأثار الأحقاد القديمة بين الدولة الأغلبية وبعض القبائل، وأعطى عهودا ومواثيق لرجال وزعماء كتامة أنّ المستقبل والدولة والتمكن لهم، فخضعت له القبائل وتوالت المدن في السقوط، وغنم غنائم عظيمة واشتد حماس أتباعه وساعده على ذلك انحلال وضعف دولة الأغالبة وانغماسهم في الترف، وتذمر الناس من الأمراء ومن ظلمهم، وأظهر أبو عبد الله من الحزم والشجاعة والمقدرة السياسية والكفاءة العسكرية ما جعله ثقة لمن حوله من القادة والجنود، فأعطاه ذلك شعورا بأنّ الوقت حان لكشف دعوته بأن يدعو للرضى من آل البيت النبوي الذي سيظهر عن قريب ويتولى أمور الحكم.

فاستطاع أبو عبد الله الشيعي أن يستولي على جميع المراكز الحربية ما بين حصنه في جبال الأوراس حتى عاصمة الأغالبة رقادة في عدة وقائع أشهرها معركة كنيونة، التي انتصر فيها على الأغالبة سنة (293هـ/906م)، وفي سنة (296هـ/909م) دخل أبو عبد الله الشيعي رقادة عاصمة الاغالبة وفر زيادة الله الثالث الى مصر وبذلك انتهت دولتهم وقامت الدولة العبيدية.

وأعلن أبو عبد الله إثر هذا النصر الحاسم على الأغالبة أنّ الإمام الحقيقي للمسلمين هو عبيد الله المهدي وأنّه سيصل قريبا إلى بلاد المغرب ويظهر العدل والمساواة.

ونجح أبو عبد الله الشيعي في تثبيت دعائم الحكم في رقادة بواسطة زعماء قبيلة كتامة وخصوصا سيدهم ومطاعهم "غزوية بن يوسف" وبقية قومه، وأرسل إلى عبيد الله المهدي وابنه القائم للمجئ إلى رقادة، وشد عبيد الله من الشام رحله "من مدينة سلمية" إلى مصر، ثم برقة، ثم طرابلس متخفيا في ثياب التجار، ولفقت قصص عجيبة في نجاته من ولاة الدولة العباسية، ووقع في أسر بني مدرار أمراء سجلماسة جنوب المغرب الاقصى.

واستطاع أبو عبد الله الشيعي سنة (297هـ/910م) أن يجهز جيشا ضخما حطم به دولة بني مدرار وخلص عبيد الله المهدي وابنه من السجن، وفي طريق عودته أسقط الدولة الرستمية في نفس السنة (297هـ/910م) وأصبح المغرب الأوسط إلى تلمسان تابع للدولة العبيدية.

وبهذا انتقل الشيعة الغلاة من الدعوة الى الدولة وتولاها عبيد الله المهدي الذي أعلن قيام الدولة الفاطمية التي زعم نسبها إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ فكانت بيعة عبيد الله المهدي في رقادة عام (297هـ/910م) وانتهت ولاية أبي عبد الله الشيعي.

وحاول أبو عبد الله الشيعي أن يعتمد في نشر المذهب الشيعي بالدعاية والمناظرة لإقناع علماء السنة والجماعة ولما فشل اضطر أن يستخدم القوة لقلع مذهب أهل السنة والجماعة من عاصمة المغرب الاسلامي، فمارس مع علماء أهل السنة أصناف العنف والشدة فضربوا الفقهاء بالسياط وقطعوا ألسنة بعضهم، وضربوا رقاب بعضهم، وصلبوا البعض الاخر، وصادروا الأموال، ومختلف صنوف التعذيب والتضييق فاشتد بذلك الصراع المذهبي، وهز الدولة الوليدة، واستمر التضييق والقمع بشتى الوسائل الى خروج العبيديين الى مصر سنة (362هـ/973م).

يتبين لنا من كل ما ذكرناه أنّ الشيعة تأسسوا كجماعة سياسية تسعى إلى خلافة علي بن أبي طالب وبنيه وتطوروا تباعا من حيث الأصول والفروع، وسياسيا مطورين أساليبهم من الجانب النظري إلى العملي الدعوي المنظم، حتى تمكنوا من إقامة الهدف المنشود وهو الخلافة الذي تجسد في الخلافة العبيدية الفاطمية بالمغرب.